(الفصل الثاني عشر)

"المفاجأة"

غادر نور الدين إلى المزرعة ليتابع عمله وقد مر على وجودهما بالمزرعة ما يقرب من ستة أشهر، وبعد عمليات الاستصلاح بدأت الأرض في الاستجابة للزراعة بشكل سريع، خاصة أن أرض الواحات وبيئتها زراعية بالفطرة؛ فكان من السهل استصلاحها.

عندما ذهب نور الدين إلى أرضه؛ وجد مدير المشروع يتفقد الأرض التابعة لناردين والمجاورة لأرضه، عندما رآه لوح له بيده مرحبًا، ثم ألقى عليه التحية قائلًا:

- **مرحبًا بك يا سيدي.**

فابتسم المدير، ورد التحية قائلًا:

- **مرحبًا يا بشمهندس.**

ثم تابع فى إعجاب وثناء على عمل كل من نور الدين وناردين، وما لمسه من تطوروتقدم في الأرض قائلًا:

- حسنًا فعلتما يا بشمهندس،أرى أنكما بالفعل جادان جدًّا في تنفيذ مشروعيكما أنت والمهندسة ناردين. فى الواقع كنت أظنكما دون المسئولية،

وأنكما سوف تتركان الأمر بعد وقت قصير، خاصة أن ظروف الحياة هنا قاسية على أمثالكما، لكنكما في الحقيقة فاجأتماني بهذا الإصرار وبهذه العزيمة وبهذا الإنجاز الرائع؛ فحقًّا الأرض الآن أصبحت مهيئة للزراعة، فلقد قمتما بعمل رائع وسوف أخبر به القيادة العليا.

فابتسم نور الدين ثم رد فى حماس قائلًا:

- **شكرًا لك سيدي، وأشكر لك دعمك ومساندتك لنا، فأنا جد سعيد بما قلته سيادتك عني وعن ناردين. هذه أولى خطوات تحقيق حلمنا، وإن شاء الله نحقق الخير لنا ولبلدنا.**
- **حقًّا أنتما نموذجًا مشرفًا لشباب مصر، فليوفقكما الله.**
- **متى احتجتما إلى شيء، فأنت تعرف طريقي، تعال على الفور.**

ثم انصرف. وقف نور الدين يجوب الأرض بناظريه في سعادة غامرة وهو يتمتم:

- **هذه هي مفاجأتك يا ناردين، عندما تأتين إلى هنا وتشاهدين هذا الجمال. والله، إن الله لمعنا، لقد كنت أتصور أن هذه الأرض سوف تستغرق شهورًا طوال حتى تستجيب للزراعة، ولكن ما حدث هو معجزة في حد ذاتها وتوفيق من رب العالمين، فالشكر لك يا ربي.**

قضى يومه كالمعتاد بين الأرض وعماله الذين أحبوه هو ونارديـن، وفى المساء عاد إلى السكن؛ فوجد المكان مظلمًا، أصابه الفزع وأخذ ينادي بأعلى صوته قائلًا:

- **ناردين، ناردين.**

فلم تجبه، فتملكه الفزع أكثر وأكثر،أين هي يا ترى؟ هل أصابها مكروه؟ فأسرع يجري متلهفًا باحثًا عنها في كل مكان، فلم يصدر عنها صوتًا ولا حركة، حتى وصل إلى غرفة الطعام وعندما دخل فوجئ بنور الغرفة وقد أضيء فجأة، نظر فوجد المائدة معدة وعليها أطباق طعام وشموع، انتهي بصره إلى رأس المائدة فوجد ناردين جالسة تنتظره على العشاء بابتسامة ساحرة ثم قالت:

- **مفاجأة!**

فسحب نور الدين المقعد وخر جالسًا، ونبضات قلبه تتسارع من شدة الفزع وهو صامت ثم بغضب قال:

- ما هذا؟ هل تريدين قتلي؟ كدت أموت رعبا الآن، سامحك الله يا ناردين.

فضحكت وتعالت ضحكاتها التي لم تستطع أن تتحكم فيها قائلةً:

- هل حقًّا ارتعبت من الظلام؟ هل أنت ممن يخافون الظلام يا نور الدين؟

وهي تضحك، فنظر إليها بنظرات غاضبة لفترة وهو عاقدًا لحاجبيه، ثم أمام ضحكاتها الجميلة تلك، فهي تضحك بشكل جميل للغاية ابتسم قائلًا:

- نعم، لقد ارتعبت، ولكن ليس من الظلام، لقد ارتعبت من أن يصيبك مكروه؛ فعندما ناديت عليك ولم أسمع صوتك مت من الرعب.

قطعت ناردين ضحكاتها واستبدلتها بابتسامة امتنان وحب قائلةً:

- **حقًّا يا نور الدين خِفتُ عليَّ؟ ارتعبت من أجلي؟**

فأجابها مازحًا:

- **لا خِفتُ من الظلام.**

ثم ابتسم قائلًا:

- لا يهم، المهم هو أن تضحكي بهذا الشكل؛ فوجهك الجميل هذا تليق به الضحكات.

- **أنت، أنت سبب ضحكاتي وسعادتي؛ فقبلك لم أعرف معنى للضحك ولا السعادة. هاتان المفردتان لم تكونا ضمن قاموس حياتي من قبل، لولاكَ لما وجدت نفسي التائهة، لولاكَ لما عاد قلبي لينبض، لولاكَ لما عدت للحياة من جديد.**

فابتسم هو الآخر وفي حب رد قائلًا:

- **بل، لولاكِ أنتِ لما تحررت من أسر الماضي، لولاكِ أنتِ لما عادت إلى روحي، لولاكِ أنتِ لبقيت ذلك الشخص الفظ غليظ القلب.**

فنظرت إليه ناردين في حنان وحب ثم غيرت الموضوع قائلة:

- **اها، تفضل، الآن وقد برد الطعام وسوف تتهمني بأنني لا أجيد إعداده.**

فضحك قائلًا:

- يا حبيبتي، هذا ليس اتهامًا على الإطلاق، بل هي الحقيقةً.

فنظرت إليه فى غضب مصطنع ثم علقت:

- **هكذا إذن؟ يا سيدي، لا يجب عليك الحكم على شيء قبل تجربته. هيا تفضل تذوقه أولًا ثم أحكم كما يحلو لك.**

فضحك نور الدين قائلًا:

- حسنًا، سوف أتذوقه، لكن جهزي السيارة؛ لتسرعي في إسعافي أم أنك ستتركينني أموت؟

ثم تابع ضحكاته؛ فضحكت هي الأخرى قائلة:

- **لا تحمل همًا؛ فأنا سوف أنقذك، هيا.**

وجلسا يتناولان الطعام فقال:

- **اليوم مر مدير المشروع على الأرض وتفقدها.**
- **حقًّا؟ وماذا قال؟ فالأرض ما زال أمامها أشهر حتى تستجيب للزراعة كما أظن.**

فابتسم نور الدين قائلًا:

- **كما تظنين؟ ولكن...**

ثم صمت وهو يتابع تناول طعامه، فتحمست قائلةً:

- **ولكن ماذا؟ ماذا؟**

فرفع إليها نظره قائلًا:

- **ولكن رأي مدير المشروع كان مختلفًا.**

وهنا ازدادت حيرتها ودهشتها، فقالت:

- **ما هذه الألغاز التي تتحدث بها؟ أرجوك أخبرني بشكل جيد.**
- **ألم أحدثكِ عن مفاجأة؟**

فأجابته في حماس:

– نعم، نعم، ما هي؟

– هل حقًّا تودين معرفتها؟

فأجابته فى ضجر:

- أوف يا نور الدين! كم أنت سخيف، لا أريد أن أعرف.

فضحك قائلًا:

- لينتظر برج الجدي هذا قليلًا، فالمفاجأة هي أن أرضك أصبحت صالحة للزراعة.

فقفزت على الفور قائلةً فى سعادة:

- حقًّا؟ حقًّا؟ كيف ذلك؟ فالأرض ما زال أمامها أشهر.

- ولكن هذا ما حدث، فلقد حدثت معجزة من الله، والأرض بالفعل استجابت للزراعة على غير المتوقع، وغدًا إن شاء الله سوف آخذك لتشاهدين بنفسك، وتتابعين عملك.

فرحت ناردين لسماعها تلك الأخبار السعيدة، فعانقت نور الدين وهي لا تصدق ما حدث هامسة في أذنيه:

- من حسن حظي أنك موجود بحياتي، كم أنا سعيدة الآن؟

فرد وهو يحكم ذراعيه حولها؛ ليضمها في حب واحتواء شعرت بهما على الفور هامسًا:

- بل من حسن حظي أنا أنني عرفتك؛ فهذه أولى خطوات تحقيق أحلامنا التي سنحققها معًا.